تطبيق في مقياس الأدب الشعبي المغاربي.

الأستاذة شهيرة بوخنوف

1- طقس الاستسقاء في الجزائر

يمارس المجتمع الجزائري طقوس الاستسقاء أثناء الجفاف، ففي منطقة خراطة (بجاية) مثلا يتفق أهلها أثناء رؤيتهم للجفاف على ممارسة ما يسمى "أنزار"، فتأمر العجائز والأمهات الأطفال بممارسة الطقس، فتعطي لهم مغرفة (أَغْنْجَا) بعد أن تجعله على شكل عروس، حيث تلبسه الألبسة والحلي، ويفضل في بعض القرى أن يكون لون اللّباس أبيضا أو أسودا، وبعد تزيّينه كليّا تعطيه للبنت اليتيمة أو للطفل الأصغر سنا ليحمله. من هنا يبدأ عمل الأطفال، يجوبون مختلف القرى والمداشر، وهم يردّدون أغنيتهم الفولكلوريّة:

أنـــــــــزار، أنـــــــــزار
يا ربّ أرزقـنـــا المـــطـــر
المغـرفـــة ســـاخـــنـــة
فوق بـــيـــت ســـاخـــن
يا ربّ ارويـــهـــا جـــيّـــدا
مـــاء، مـــاء الســـمـــاء
يا ربّ أرزقنـا المـطـر الغـزيـر
يا أمي عيشة أحضري ماء العشاء
يا أمي حواء أحضري ماء السمـاء
نـــور، نـــور المـــطـــر
يـا ربّ اســقـي البسـاتـيـن

عند وصولهم إلى بيت معين يقفون أمام عتبة البيت، وهم يغنون أغنيتهم الشّعبيّة بصوت مرتفع حتى يسمعهم أهل البيت، فتخرج إليهم الجدة/ الأم، ترشهم بالماء وتعطي لهم بعض المستلزمات كالفول والعدس واللّحم والملح والزيت... يشكرونها وينتقلون إلى بيت آخر، وهكذا دواليك حتى يجمعوا ما يكفيهم من لوازم لصنع الكسكس أو الفطائر الرقيقة. بعدها يجتمعون في إحدى الأمكنة كالوادي أو عين ماء أو المسجد أو مقام الأولياء أو في وسط الحقل... تحيطهم الجبال من كلّ جهة. يذهب الذكور لجمع الحطب بينما تحضر الفتيات الكسكس أو الفطائر الرقيقة، وقد تساعدهن في ذلك الجدة الكبيرة في القرية أو إحدى الأمهات المحبات لأفعال الخير.

بعد نضج الكسكس أو الفطائر الرقيقة يأكلون جميعا، ويأكل كلّ من مرّ في ذلك المكان تيمنا بنزول الغيث. وما نريد الإشارة إليه، إن بعض القرى لا تستعمل المغرفة (أغنجا) بل تكتفي بعصا أو أي عمود مستقيم فقط.

وفي منطقة تيزي وزو- ثيقزيرث «عندما يكون الجفاف وقلة المياه في الينابيع بسبب عدم نزول الأمطار يلجأ السكان إلى القيام بـ "أنزار" وهو الاسم المذكر للمطر، من أجل نزول المطر، تقدم هذه الطقوس وذلك بتقديم خطيبة، والتي تقوم بإثارة الرغبات الجنسية للملك، والتي تخلق شروطا مواتية من أجل نزول المطر.

إذ يتم إلباس "غراف" من الأفضل أن يكون من الخشب، مزين بحلي وطاقم، أما اليدين فتمثّلان بملعقتين... وتشارك في هذه الطقوس في الوقت الحاضر النساء والأطفال الذين يقومون بتجهيز الخطيبة، وكل بيت يعطي شيئا من المواد الغذائية، إذ يسير الموكب حتى يجوب كل القرية وصولا إلى مكان معين فيحضر طعام بواسطة تلك المواد التي قدمت طوال سير الموكب لـ "ANZAR"»

2- طقس الاستسقاء في المغرب

يمارس طقس الاستسقاء في بلاد المغرب أيضا، ففي منطقة فجيج مثلا – الواقعة في أقصى جنوب شرق المملكة المغربية– يمارسون أثناء الجفاف طقس الاستسقاء "تاغنجا" التي يصنعونها خلال كلّ شهر غشت من السنة الفلاحية لطلب السقيا، وتصنع من قضيب خشبي جاف مستقيم أملس، ويلبسونها قفطانا مغربيا أصيلا موحد اللّون أو متعدد، وتفضل بعض القبائل اللّون الأخضر على سواه، بينما تميل القبائل الأخرى إلى تعدد الألوان، ويغطى الرأس بوشاح واحد أو أكثر وتربط على الجبين باقة نعناع لدى قبائل منطقة الحوز وتثبت أقراط فضية أو معدنية أو مصنوعة من النبات في الأذنين. وبعدها تعطى للأطفال لحملها وتحريكها أثناء مسيرة الاستسقاء وبالضبط يحملها أقواهم. وبعدها يتجهون صوب الحقول وهم يردّدون كلاما منظوما إما بالمازيغية أو العربية العامية، كما قد يرفقه الصغار بتوقيع أياديهم، ومن بين تلك الأغاني نجد:

تاغنـــجا تابورجـــا مولانا تاويد الرجـــا

تاغنجا حلت راسها يا رب بلل خراسها

وهناك أهزوجة أخرى:

تاغنجـــا يا تـــاغـــنـــجـــا

يا صغيرة نوضي نوضي

نحكيلـــك على جـــدودي

جـــدودي شـــان وهـــمـــة

أهدوني قمرة ونـــجـــمـــة

والنجمة فين نـــــديـــرها؟

فصنيديقـــــي نـخبـــيـــها

وصنيديقي خصو مفتاح

والمفتـاح عنـــد الحـــداد

والحداد خصو لفـلـــوس

ولفلوس عنـــد العـــروس

والعروس في الحـــمـــام

والحمام حالك ومظـــلام

لابد ليـــه من قـنـديـــل

والقنديل طايـح فالبـيـر
والبئر غارق وكبـــيـــر
والبئر خصو لـحـــبـــل
والحبل في قـرون الثـــور
والثور خـصو الربـــيـــع
والربـــيـــع فالـــعـــرصة
تاغنجا يـا تـــاغنـجـــا
يا ربي تجـيـب الشـتـــا
هاد السبـولة عطشـــانـة
غيثـهـــا يـــا مـــولانـــا

وتضاف إليها أدعية أخرى تنم عن استعطاف الخالق ليغيثهم:

آشتا صبي صبي، راه أولادك في قبي
أرويها يا كريم، آسقـيـهـا يـا كـريـم
آشتا صبي صبي، حتى يجي سيدي ربي، يعطيني ما في قلبي..

وتكرّر هذه الأغاني باستمرار ولاسيّما عند مرورهم أمام المنازل، فترد عليهم النساء بزغاريدهن ويقدمن لهم هبات كالحلوى والتمر والسكر والنقود... ويستمر الطقس إلى غاية تعب الأطفال أو غياب الشمس.

المطلوب: قارن بين النصين الشّعبيّين المغاربيّين؟

الدراسة والتحليل

مقدمة: التحدث بصفة عامة عن النوع الأدبي الشعبي الذي ينتمي إليه النصين، مع طرح الإشكالية؟

العرض: – التحدث عن أوجه الشبه والاختلاف الموجودة بين الطقسين

– تحليل واستقراء الرموز الواردة في النصين

– مناقشة

خاتمة: استنتاج موجز.

المراجع

1– شهيرة بوخنوف: اشتغال النسق الأسطوري في طقوس الاستسقاء المغاربية، مقال نشر في كتاب جماعي "اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي" ط01، دار خيال، 2019.

2– الزهرة إبراهيم: الإيروس والمقدس، دراسة أنثروبولوجية تحليلية، ط1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، 2010.